

الكرامة الإنسانية في القرآن من وجهة نظر الحافظ الشيرازي

كاوس (محمد) روهي برندق^١

تاريخ الوصول: ١٤٣٤/٢/٥

تاريخ القبول: ١٤٣٤/٥/٦

إنَّ الحافظ الشيرازي و إن اشتهر بالشعر و الغزل إلا أنَّه في الواقع من أكابر الفكر الإنساني و من العلماء الاسلاميين و من المفسرين لكتاب الله العزيز الذين كشفوا الغطاء عن الآيات الإلهية بلسان الشعر. تبحث هذه المقالة خلال المنهج الوصفي عن النقاط المشتركة و المتفرقة بين القرآن العزيز و ما أثر عن الحافظ الشيرازي من الغزليات في موضوع الكرامة الإنسانية، و الغرض من البحث هو الوقوف على وجهة نظر الحافظ الشيرازي إلى الكرامة الإنسانية المطروحة في القرآن العزيز. و النتائج الحاصلة من البحث، هي أنَّ الحافظ الشيرازي طرح عمدة محاور الكرامة الإنسانية التسعة التي طرحها القرآن و ربط بعضها ببعض و عرض الآيات القرآنية في موضوع كرامة الإنسان الذاتية و الاكتسابية عرضاً رائعاً، و هي أنَّ الخلافة الإلهية المطلقة أعظم موهبة أعطها الله سبحانه للإنسان من بين كافة الخلائق خاصة بالقوة، و علاوة على ذلك جعل الله سبحانه في كل إنسان شيئاً آخر بالقوة ليظهر به الخلافة المطلقة و يجعله بالفعل، و هو العشق و الحب الإلهي، فإنَّ الإنسان إنما يقدر على استخراج كثر الخلافة من نفسه بالعشق. و النتيجة النهائية هي كما أنَّ كرامة الإنسان الذاتية عند الحافظ الشيرازي بالخلافة المطلقة و العشق، كذلك كرامة الإنسان الفعلية و الاكتسابية بالعشق و إظهار تلك الخلاف الكامنة في باطنه.

الكلمات الرئيسية: الكرامة، الإنسان، الحافظ الشيرازي، القرآن.

١. إشكالية البحث

لا شك أنّ من أهم مبادئ الفكر الإسلامي، المبادئ التي ترجع إلى معرفة الإنسان؛ وكرامة الإنسان من أهم الباحث في معرفة الإنسان؛ و بما أنّ القرآن كتاب هداية للبشرية، فقد اهتم بكرامة الإنسان أشد اهتمام، و تبعاً لذلك اعتنى بفكرة الكرامة الإنسانية و بحث عنها في شتى العلوم و الفنون الإسلامية؛ و الحافظ الشيرازي و إن اشتهر بالشعر و الغزل إلا أنّه في الواقع من نوايغ البشرية و من أكابر الفكر الإنساني و عظمائهم الذين يفتخرون بهم في كل الجوامع، و من جانب آخر فهو من العلماء الإسلاميين و من المفسرين لكتاب الله العزيز الذين كشف الغطاء عن الآيات الإلهية بلسان الشعر و لذا لقب بلسان الغيب و افتخر هو نفسه بحفظ القرآن، حيث يقول:

عشقت رسد به فرياد، گر خود بسان حافظ

قرآن ز بر بخوان با چارده روايت

(ديوان، ١١/٨٧) (١)

و إذا انتهى بك العشق كحافظ إلى الشكوى من نفسك
فرثّل القرآن في أربع عشرة رواية
(الشواربي، ص ١٤٧)
وعد الحافظ الشيرازي أبيات غزلياته، بأبيات المعرفة،
كما قال:

شعرِ حافظ، همه بيت الغزلِ معرفت است

آفرين بر نفسِ دلکش و لطف سخنش

(ديوان، ١٠/٣٤٩)

شعر «حافظ» جميعه أبيات مليئة بالعرفان

فما أبدع أنفاسه الأسره لللوب، و ما أحلى حديثه الذي يدعو إلى الاستحسان

(الشواربي، ص ٣٧٥)

على هذا، يلزم أن نكشف عن آرائه و نظرياته في مختلف المجالات و خاصة في المجالات التي للحافظ الشيرازي

فيها رؤية خاصة و منها الكرامة الإنسانية. و هذه هي النقطة التي يدور حولها بحثنا هذا. فإذا إشكالية البحث هي، ما هي النقاط المشتركة و المتفرقة بين القرآن العزيز و ما أثر عن الحافظ الشيرازي من الأشعار و الغزليات في موضوع الكرامة الإنسانية؟ حتى يُعلم أنّ الحافظ الشيرازي كيف و من أي منظور نظر إلى الكرامة الإنسانية في القرآن.

و أما منهجية البحث تتبع بالطبع المنهجية الدارجة في البحوث و الدراسات الجامعة بين البحوث الكيفية و الكمية التي تُبنى في جمع مواد البحث على مطالعة الكتب و البحث المكتبي، و في التحليل و النقاش ضمن التوصيف و التحليل و التجزئة المنطقية.

و حول خلفية البحث عن موضوع كرامة الإنسان، فإنّه و إن كانت الدراسة حول هذا الموضوع ليست حديثة، لأنّه بُحث عنها في تضاعيف الكتب الإسلامية التي دونت في شتى العلوم و صنف فيها كتب و مقالات و رسائل مستقلة من وجهات نظر و مجالات مختلفة يجدها الباحث في المواقع الإسلامية للكتب و المجالات الموجودة في الانترنت، و لكن الأنسب منها لمقالتنا هذه، مقالة «كرامات انسان و محورهاي اصلي آن در مثنوي مولوي» كتبها دكتور فارميك آرساتوريان و محمد آل عصفور - ولا زالت هناك مجالات فسيحة للدراسات عنها، و من تلك المجالات، الدراسة المقارنة للكرامة الإنسانية بين منظور القرآن و من وجهة نظر الحافظ الشيرازي، لأننا لم نعثر حتى على مؤلف واحد في هذا الموضوع مع ما له من الأهمية.

٢. معنى الكرامة في اللغة و في مصطلح العلوم الإسلامية

للكرامة معان عديدة و اصطلاحات كثيرة في شتى حتى الفنون و العلوم نذكرها في ما يلي إجمالاً:

٢-١. الكرامة في اللغة

الكرامة في اللغة عبارة عن «شَرَفٌ في الشيء في نفسه أو شرفٌ في خُلُقٍ من الأخلاق» (ابن فارس، ١٣٩٩: ج ٥، ص: ١٣٩) إذن الكرامة «إذا وصف بها الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال الحمودة التي تظهر منه، ولا يقال: هو كريم حتى يظهر ذلك منه». (الراغب الاصفهاني، ١٤١٢: ص: ٧٠٧) والفرق بينها وبين الحرية هو أنَّ «الكرَمَ كالحرية إلا أنَّ الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبرى، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة (م.ن)» ومن جانب آخر «يعتبر في العزة مفهوم الاستعلاء والتفوق، بخلاف الإكرام. فالكرامة عزة وتُفوق في نفس الشيء ولا يلاحظ فيه استعلاء بالنسبة إلى الغير الذي هو دونه». (المصطفوي، ١٣٦٠: ج ١٠، ص: ٤٧).

٢-٢. الكرامة في الاصطلاح

أما الكرامة الإنسانية في مصطلح علم الأخلاق الإسلامي ففي الواقع أنَّ ثاني المعنيين من معنيي الكرامة في اللغة، أعني الشرافة في الخلق والمحاسن الكبيرة، هو المعنى الذي يؤكد عليه في الأخلاق والحكمة العملية وهي التخلق بها و«تهذيب الأخلاق والتتره عن محبة الأمور الدنية الدنياوية» (الشهرزوري، ص ٥٦١).

كما أنَّ الكرامة في مصطلح علم الفقه عبارة عن الالتزام العملي بالقيم الإنسانية المتعالية في مرحلة العمل والفعل، حيث تراعي الكرامة الإنسانية في جميع الشرائع في الفقه الإسلامي. وذلك لأنَّ الفقهاء يذكرون في تعريف علم الفقه وذكر موضوعه أنَّ موضوع علم الفقه هو أفعال المكلفين» (المشكيني، ١٤١٨، ص ١٢؛ الهاشمي، العدد ١٧، ص: ٧)؛ وأصل وجوب الحفاظ على كرامة الإنسان وما يترتب عليها من أهم الموضوعات في الفقه.

و أما الكرامة الإنسانية في مصطلح الحكمة النظرية فهي أعلى مكانة من الكرامة في المصطلحات السالفة، لأنَّ كرامة الإنسان الذاتية والمتأصلة التي تطرح في علم الفلسفة الإلهية والحكمة النظرية عبارة عن صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني، كما يقول ابن سينا: «الحكمة صناعة نظر يستفيد بها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله، لتشرف بذلك نفسه، وتستكمل، وتصير عالماً معقولاً، مضاهياً للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية». (ابن سينا، ١٣٢٦: ص: ١٠٤-١٠٥).

أما النظرية السامية في الكرامة الذاتية للإنسان هي الكرامة في مصطلح علم العرفان الإسلامي النظري، فتتجلى في العرفان الإسلامي والتصوف الصافي، حيث تفسر الخلافة الإنسانية بأنه «لما أراد الله كمال هذه النشأة الإنسانية جمع لها بين يديه وأعطاهما جميع حقائق العالم وتجلى لها في الأسماء كلها فحازت الصورة الإلهية والصورة الكونية وجعلها روحاً للعالم وجعل أصناف العالم له كالأعضاء من الجسم للروح المدبر له فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم كما أنَّه إذا فارق منه ما فارق كان فراقه لذلك الصنف من العالم كالخدر لبعض الجوارح من الجسم فتتعطل تلك الجارحة لكون الروح الحساس النامي فارقها كما تتعطل الدنيا بمفارقة الإنسان فالدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه» (ابن العربي: ج ٢، ص: ٤٦٨). فالكرامة العليا الإنسانية في العرفان النظري هي الخلافة المطلقة بالقوة لكل إنسان عن الله تعالى والحكاية الوجودية والمظهرية لصفاته وأسمائه الحسنی.

و أما الكرامة في مصطلح العرفان العملي و التصوف الإسلامي فإنها منشعبة عن مصطلح الكرامة لعلم العرفان الإسلامي النظري، لانها عبارة عن فعلية الخلافة بالقوة للإنسان و ظهور ذلك الذي يتجلي في وجود الإنسان الكامل، كما ذكر في تعريف التصوف أنه «هو التخلّق بالأخلاق الإلهية». (التهانوي، ج ١، ص ٤٥٦) أو أنه «عبارة عن التخلّق بالأخلاق الإلهية قولاً و فعلاً و علماً و حالاً» (الأملي، ص ٤٤).

٣. الكرامة الإنسانية من منظور القرآن

ذكر الله سبحانه في آيات عديدة من القرآن الكريم كرامة الإنسان و عامة البشر بغض النظر عما يختص بعضهم من الكرامة الخاصة الإلهية و القرب و الفضيلة الروحية المحضة. ونذكر محاور الكرامة الإنسانية في القرآن إجمالاً فيما يلي:

١. الخلافة و العلم الشامل: يذكر القرآن أنّ الله سبحانه و تعالى جعل الإنسان خليفته من بين الخلائق و فضله على الموجودات حتى الملائكة الذين يظنون أنّهم أنزه خلق الله، حيث قال: «وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٣٠) و بين أنّ آدم (ع) إنّما فضّل على الملائكة بالعلم بالأسماء كلها، كما قال: «وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» (البقرة: ٣٢)؛ فيستفاد من السياق أنّه ليس المراد من آدم (ع) نفس آدم خاصة بل آدم بما هو إنسان و أنّ هذه «الخلافة غير مقصورة على شخص آدم (ع) بل بنوه يشاركونه فيها من غير اختصاص» (الطباطبائي، ١٣٩٣: ج ١، ص: ٦٤).

٢. الفطرة على الدين و التوحيد: يذكر الله سبحانه في موضع آخر من القرآن البعد التشريعي من الكرامتين

السابقتين، أي مفطورية كل إنسان بالعلم الوجداني بما هو وظيفته في كل مجال إجمالاً، والذي يتبلور في الدين الإلهي. حيث قال: «فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (الروم: ٣٠).

٣. الإشهاد على التوحيد في نشأة إنسانية سابقة: إنّ الدين الذي فطر عليه الناس كلهم، أساسه و الأصل الأصل لكل فروعه هو التوحيد، كما يقول الله سبحانه: «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» (الأعراف: ١٧٢). تدل الآية في أصح احتمالات في معناها أنّها «تشير إلى نشأة إنسانية سابقة فرق الله فيها بين أفراد هذا النوع، و ميز بينهم و أشهدهم على أنفسهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا. (الطباطبائي، ١٣٩٣: ج ٨، ص: ٢٣١) و أنّ الناس مفطورون على معرفة الله و التوحيد الذي هو الأساس لما في الدين من المعارف النظرية و العملية، كما نقل الإمام الباقر (ع) (الصدوق، ١٣٩٨ق، ص ٣٣٠).

٤. نفخ روح الله تعالى: وهذا كله هو الأمر الذي ينشئ الله سبحانه في آخر مرحلة من مراحل خلق الإنسان عنه، حيث يقول: «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ. فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» (الحجر، ٢٩ - ٣٠) «و معنى الآية فإذا عدلت تركيبه و أتممت صنع بدنه و أوجدت الروح الكريم المنسوب إلى الذي أربط بينه و بين بدنه فقَعُوا و خَرُّوا على الأرض ساجدين له». (الطباطبائي، ١٣٩٣: ج ١٢، ص: ١٥٥). ويعبر القرآن في موضع آخر عن نفخ هذا الروح الكريم في قلبه الطيني و المادي البدني، بإنشاء الإنسان خلقاً آخر، حيث يقول: «وَتَمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ

(المؤمنون، الآيات ١٢-١٤). فإذا في كلا التعبيرين إشارة إلى علو مرتبة هذه الروح و الخلقة المعطاة للإنسان على كل روح، و خلقها من مراتب الروح الجمادية و النباتية و الحيوانية. و هذه كرامة للإنسان و تفضيل له على كل مخلوق.

٥. الخلق في أحسن تقويم: يقول الله تعالى في موضع آخر من القرآن إنّه خلق الإنسان في أحسن تقويم، كما قال تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» (التين: ٤) فإنّ «معنى كونه ذا أحسن قوام بحسب الخلقة على ما يستفاد من قوله فيما بعد- ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين...- صلوحه بحسب الخلقة للعروج إلى الرفيق الأعلى و الفوز بحياة خالدة عند ربه سعيدة لا شقوة معها، و ذلك بما جهزه الله به من العلم النافع و مكّنه منه من العمل الصالح» (الطباطبائي، ١٣٩٣: ج ٢٠، ص: ١٧٩).

٦. التكريم المطلق: يذكر الله سبحانه تكريم الإنسان الخاص به من بين الخلائق في موضع آخر فقال: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» (الاسراء، الآية ٧٠١) فإنّ هذا الكلام يعمّ المشركين و الكفار و الفساق و إلا لم يتم معنى الامتنان و العتاب. (الطباطبائي، ١٣٩٣: ج ١٣، ص: ١٥٥) فالمراد من الآية الكريمة أنّ الله جعل بني آدم قاطبة برّهم و فاجرهم، ذوى كرم، أى شرف و محاسن جمّة لا يحيط بها نطاق الحصر. (الآلوسي: ج ١٥، ص ١١٧). و «أنّ كرامة الإنسان مستمدة من إنسانيته ذاتها، لا من أي عرض آخر كالجنس، أو اللون، أو الطبقة أو الثروة أو المنصب إلى آخر هذه الأعراض العارضة الزائلة. و الحقوق الأصيلية للإنسان، مستمدة إذن من تلك الإنسانية التي ترجع إلى أصل واحد كما أسلفنا» (المختار السلافي، ص ١٢٥٣). فإذا من مظاهر هذه الكرامة العامة أنّها نشأت من الأحكام التي صورت في كلام أمير المؤمنين على (ع) أحسن تصوير

حيث قال في امرأة ذمية انتزع العدو خلخالها من ساقها و رُعْثُهَا مِنْ أُذُنِهَا: «وَلَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْآخَرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلْبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَ رُعْثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَسْتِرْجَاعِ وَ الْأَسْتِرْحَامِ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلَمٌ وَ لَا أَرِيْقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مُلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا» (الإمام على بن أبي طالب: ص ٦٩-٧٠)

٧. عرض الأمانة الإلهية المطلقة: يقول سبحانه: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (الأحزاب: ٧٢)، فالآية تدلّ على كرامة الإنسان، بحيث أهّل لحمل الأمانة. وأمّا ما هو المراد من تلك الأمانة فيفسرها بعضهم بأنّ الله سبحانه و تعالى ميّز الإنسان بالعقل و النطق و الاستعدادات المتعددة التي جعلته أهلاً لحمل الأمانة (الطنطاوي: ج ٨، ص ٣٩٩)؛ لكن التحقيق أنّ قوله سبحانه: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ آتِي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: ٣٠) يفسر آية الامانة، فخلافة الإنسان عن الله سبحانه هي الأمانة التي وصفها الله سبحانه على عاتق الإنسان، فيما أنّه خليفة لله سبحانه يجب أن يكون بصفاته وأفعاله مظهرًا لصفات الله وأسمائه وأفعاله. فاذن معنى حمل الأمانة في أعلى ما يتصور من معناها، جعل الأمانة في وجود كل إنسان جعلاً تكوينياً و بالقوة (الآملي، ص ١٣٦).

٧. تسخير الموجودات كلها للإنسان: أنّ الله سبحانه سخر الكثير من مخلوقاته لمنفعة الإنسان و مصلحته و ذكر ذلك في القرآن في موارد عديدة (إبراهيم: ٣٢-٣٤؛ النحل: ١٤-١٦؛ الحج: ٦٣-٦٦؛ لقمان: ٢٠؛ فاطر: ١٣؛ الزمر: ٥؛ الجاثية: ١٢-١٣) و دلالة هذه الآيات على

كرامة الإنسان ظاهرة بحيث سخر الكون لأجله، سواء قلنا بأن «تسخير الفلك للناس هو جعلها بحيث تنفعهم في مقاصدهم وهي العبور بأنفسهم وأحمالهم وغير ذلك من غير أن ترسب في الماء أو تمتنع عن الحركة أو كما قال بعضهم: تسخيرها لهم هو إقدارهم على صنعتها و استعمالها بإلهامهم طريق ذلك البعيد، فإنّ الظاهر من تسخير شيء للإنسان هو التصرف فيه بجعله موافقاً لما يقصده من منافع نفسه دون التصرف في الإنسان نفسه بإلهام ونحوه» (الطباطبائي، ١٣٩٣: ج ١٢، ص ١٥).

هذا كله ما يمكن أن يستفاد من القرآن في موضوع كرامة الإنسان الذاتية، وأما الكرامة الاكتسابية التي بحث القرآن كل إنسان بالالتزام بما فالتكفل لبيائها آيتان يأتي الكلام عليها في العنوانين التاليين، وهما أنّ الكرامة بالعبودية والمعرفة، والكرامة بالتقوى.

٨. الكرامة بالعبودية والمعرفة: قال سبحانه: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦). الآية الكريمة تبين أنّ الغرض من خلق الإنسان والجن إنّما هي العبادة و «العبادة بمعنى ما يأتي به العبد من الأعمال بالجوارح من قيام و ركوع و سجود و نحوها غرض مطلوب لأجل غرض آخر هو المثل بين يدي رب العالمين بذلة العبودية و فقر المملوكية المحضة قبال العزة المطلقة و الغنى المحض... فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلقة و هي أن ينقطع العبد عن نفسه و عن كل شيء و يذكر ربه.» (الطباطبائي، ١٣٩٣: ج ١٨، ص: ٣٨٨). و هذا الغرض من الخلقة غرض تشريعي، إذن فإنّ الله سبحانه إنّما يعطي الكرامة للإنسان الذي يعرفه و يعبده و لا تظهر كرامة الإنسان الذاتية الا بالعبادة.

٩. الكرامة بالتقوى: قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (الحجرات: ١٣) «في مقابل الامتيازات الاجتماعية التي كان الناس يتميزون بها، كالقوة، و المال، و القبيلة، و النسب، و اللون، جاء القرآن بميزان للفضائل وهو المسارعة والاستباق إلى مراتب الكمالات الإنسانية علمية وعملية، وأنّ كرامة الإنسان بحقيقتها ومراتبها تدور مدار ما هو عند الله، لا ما هو عند الناس» (الخراساني، ص ٩٤، فجعل التقوى المعيار الوحيد لكرامة الإنسان و شرفه، الذي كشف عن معناها و فسرهما الرسول الأعظم (ص) في كلمة جامعة من جوامع كلمه، حيث قال (ص) في خطبة حجة الوداع: «يا أيها الناس إنّ الله تعالى أذهب عنكم نحوه الجاهلية و فخرها بالآباء، كلّكم من آدم و آدم من تراب، ليس لعربي على أعجمي فضل إلّا بالتقوى» (ابن هشام: ج ٢، ص ٤١٧) و قال أيضاً: «الناس كلّهم أحرار إلّا من أقرّ على نفسه بالعبودية» (الحجر العامل، ١٤٠٩: ج ٣، ص ٢٤٢). على هذا الأساس، فإنّ تعاليم الشرع الحنيف ومبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية جاءت لتأصيل وتأكيد كرامة الإنسان وعدم التميز، وأن أكرم الناس عند الله جل وعلا أتقاهم» (سفر، ص ٢٩٩) إذن «لم تكن كرامة الآدمي في الإسلام، منذ نزول القرآن، شعاراً عاماً، بل كانت نظاماً تشريعياً داخلاً في البناء العقدي والأخلاقي الإسلامي، وأهم ما يميزه أنّه يستند إلى نظرية عامة في هذا البناء. إنّ كرامة الإنسان وهي الحق الأصيل والمهم من حقوق الآدمي.» (التركي، ج ١، ص ٣٥-٣٦) و لذلك «إن الفقهاء المسلمين أشد العلماء حرصاً على رعاية كرامة الإنسان فيما استنبطوه من أحكام شرعية، فقرروا ضوابط كثيرة و شرطوا شرائط عديدة لتطبيق الحدود.» (الزحيلي، ج ٧، ص ٢٦٩) و «إن السياسة الإسلامية التي تدور مدار كرامة الإنسان تقتضي أن لا سلطنة لأحد على أحد. فليس

لأحد أن يدعيها، و ليس لأحد أن يتحملها، بل هي لله تعالى فحسب.» (الأملي، ١٤٠٤ هـ. ق، ص: ٢١). و التقوى بما لها من النطاق الواسع تشمله المعرفة و العبادة التي هي الغرض الأقصى من خلقه الإنسان كما ذكر في الآية الكريمة السابقة. بناءً على هذا، يمكن القول في الجمع بين الآية السابقة و هذه الآية بأن الكرامة التشريعية المطلوبة من الإنسان إنما تظهر بالعبادة و العبادة تظهر بالتقوى و التقوى علامة و ميزان كون الإنسان كريماً عند الله سبحانه.

٤. كرامة الإنسان في القرآن من وجهة نظر الحافظ الشيرازي

اهتم الشاعر الإيراني العارف في ما أثر عنه من الغزليات بكرامة الإنسان أشد اهتمام، ويظهر ذلك لكل متتبع تصفح ديوان شعره. وسنذكر في ما يلي جل ما أنشد الحافظ الشيرازي من الأشعار في موضوع الكرامة الإنسانية:

١. يفسر لسان الغيب، الحافظ الشيرازي آية الأمانة: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ.» (سورة الأحزاب: ٧٢) بنعمة الخلافة و العشق و يذكر أن هذه الأمانة ما استطاعت السماوات و أهلها و غيرها من الموجودات أن يحملنها، بل و أبين أن يحملنها و حملها الإنسان خاصة؛ لأنه كان مجنوناً بالعشق الإلهي من بين سائر الموجودات، حيث يقول:

آسمان، بارِ امانت نتوانست کشید

قرعه فال به نامِ من دیوانه زدند

(ديوان ٥/١٧٤)

و لم تستطع السماء أن تتحمل عبء «الأمانة»

فاقترعوها على اسمي، أنا المولّه المجنون!

(الشواربي، ص ٢٢٤)

٢. يذكر الحافظ في موضع آخر من أشعاره أن الإنسان سالك سبيل العشق، و أن الغرض من مجيئه إلى الدنيا و ظهوره من العدم إلى الوجود هو أن يظهر العشق في وجوده و يتبدل و يتكامل من القوة إلى الفعلية، حيث يقول:

رَهروِ منزلِ عشقِیم و ز سرحدِّ عدم

تا به اقلیم وجود، این همه راه آمده ایم

(ديوان، ٢/٤٤١)

نحن سالكون في منازل العشق، و قد أقبلنا من إقليم العدم

إلى إقليم الوجود، فقطعنا كل هذه الطريق بغير

عناء (الشواربي، ص ٤٢٧)

٣. يعتقد العارف الشيرازي أن الموجودات كلها إلا الإنسان حتى الملائكة المقربين إنما حرموا من حمل هذه الأمانة، لأن الله سبحانه حرم عليهم العشق و ما جعل في وجودهم الحب، حيث يقول:

در ازل پرتوِ حُسنِ ز تجلّی دم زد

عشق پیدا شد و آتش به همه عالم زد

(ديوان، ١/١٨٠)

منذ الأزل.. تفتّق ضياء حسنك عن نور التجلّي

فبدا العشق جلياًوا اشتعلت ناره في جميع الأكوان

(الشواربي، ص ٢٨٤)

جلوه‌ای کرد رُخش، دید مَلَك عشق نداشت

عینِ آتش شد از این غیرت و بر آدم زد

(ديوان، ٢/١٨٠)

و رأى «الملاك» ما حول وجهك من بهاء، و لم يكن ليحسّ بالعشق

فأحس بالغيرة منك، و استحال إلى نار، ثم أشعل نار العشق في آدم

(الشواربي، ص ٢٨٤)

نظری کرد که بیند به جهان صورتِ خویش

خیمه در آب و گلِ مزرعه آدم زد

(ديوان، ٦/١٨٠)

أَنَّ كلَّ آتٍ في الدنيا عليه طابع الإرتواء من المدام الإلهي
الخاص و العشق العفيف الرباني و أنّه لا يمكن لأحد أن
يزيل ذلك من نفسه، حيث يقول:

هر که آمد به جهان، نقش خرابی دارد

در خرابات نرسند که هشیار کجاست؟

(دیوان، ۳/۹۵)

وكل آت إلى هذه الدنيا فهو زائل و عليه طابع الخراب
فهل تسأل في الخرابات و (الحانات) أين المفيق الآمن...

(الشواري، ص ۱۰۵).

و يصرح في موضعين آخرين أَنَّ ذلك نصيب أزلي لكل
إنسان، حيث يقول:

كنون به آبِ میِ لعل، خرقه می شوم

نصیبه ازل از خود نمی توان انداخت

(دیوان، ۷/۹۹)

فدعني الآن أغسل خرقتي بالخمر الحمراء

فلا يمكن أن أبعد عن نفسي بعد اليوم هذا النصيب الأزلي

(الشواري، ص ۱۰۶)

مگر گشایش حافظ در این خرابی بود

که قسمت ازلش در میِ مغان انداخت

(دیوان، ۱۱/۹۹)

و لربما يكون الفتح على «حافظ»، في هذه الحال الخربة
المضطربة / فقد طوّحت به قسمته الأزلية إلى حمر المحوس!

(ن.م، ص ۱۰۶)

و في موضع آخر يذكر أَنَّ المحبة و العشق مسبوق بوجود
العالمين: الدنيا و الآخرة، حيث يقول:

نبود نقشِ دو عالم که رسمِ اُلفت بود

زمانه طرحِ محبت نه این زمان انداخت

(دیوان، ۸/۹۹)

نظر الحق ليرى صورة جماله في العالم

فخيم في ماء مزرعة آدم و طينته

كما يذكر في موضع آخر أَنَّ الإنسان خاصة هو الجدير

بأخذ المدام الإلهي، و الملائكة ليست جديرة بذلك:

فرشته، عشق نداند که چیست، قصه مخوان

بخواه جام و شرابی به خاک آدم ریز

(م.ن، ۳/۳۱۶)

يا أيها الساقى! إن الملاك لا يعرف كنه العشق

فاطلب الكأس، و انثر ماء الورد على تراب آدم

(الشواري، ص ۳۴۹)

۴. لقد أشار الحافظ الشيرازي إلى أَنَّ الإنسان فطر من

الأزل على العشق، و عليه ان يكون في الحياة الدنيا حتى

وقت الموت و الفناء و الاندراج عاشقاً، كما يقول:

من خود از آغازِ فطرت، عاشق و مست آمدم

بر نتام رو از این در، تا به وقتِ اندراج

(دیوان، ۵/۱۱۶)

إني كنت منذ بدء الفطرة عاشقاً و سكراناً

فلا أعرض عن هذا الباب حتّى وقت الاندراج

۵. يشير بل يصرح الحافظ الشيرازي في موارد أخرى من

غزلياته إلى أزلية العشق الإنساني حيث يقول:

ندایِ عشق تو دوشم در اندرون دادند

فضایِ سینه حافظ، هنوز پر ز صداست

(دیوان، ۱۱/۲۶)

وليلة أمس، أعادوا على قلبي نداء محبتك

فامتلاً فضاء قلب «حافظ» بالهتاف و الأصداء

(الشواري، ص ۱۷۶)

لا يخفي أَنَّ لفظة ليلة أمس و إن احتمل أن يكون المراد

منها ليلة أمس في هذه الدنيا، إلا أَنَّ من المحتمل أن يكون

المقصود منها ليلة الأزل غير البعيد. و يقول في مورد آخر

٦. يستدل الحافظ الشيرازي على أبدية قصة العشق الإنساني بأزليته:

ماجرأى من و معشوق مرا پايان نيست
هرچه آغاز ندارد، نپذيرد انجام
(ديوان، ٣/٤٤٥)

و ما جرى بيني و بين المعشوق لا حد له و لا نهاية
لأن ما ليس له بداية، لا يكون له نهاية أو ختام
(الشواري، ص ٤٣٠)

٧. يفسر الشيرازي آية العبودية (الذاريات، الآية ٥٦) بأن
الغرض من حلقة الملك و الإنسان هو العشق فقط:
طفيل هستي عشقند، آدمي و پري

ارادتي بنما تا سعادتى ببرى
(ديوان، ١/٥٨٢)

إن الآدمي طفيلي في العشق، و الملاك متطفل في حبه
فأظهر شيئاً من الإرادة، حتى تفوز بشيء من السعادة
(م.ن، ص ٥٥٤)

٨. في غزل آخر بالإضافة إلى إشارته إلى آية العبودية،
يفسر قضية هبوط الإنسان من الجنة إلى الأرض والتي
أشارت إليه آيات عدة من القرآن تفسيراً بديعاً ينتج أن
الغرض من الهبوط أن يعمر الإنسان بعد الخراب بالعشق.
تقول الأبيات:

فاش مى گويم و از گفته خود دلشادم
بنده عشقم و از هر دو جهان آزادم
(ديوان، ١/٤٢٩)

إني أقول علانية و أنا سعيد جداً باعترافي و مقالي
إني أسير للعشق و لكنني حررت من كلا العالمين بالي
طاير گلشن قدسم، چه دهم شرح فراق
که در اين دامگه حادثه چون افتادم
(ديوان، ٢/٤٢٩)

قبل أن يكون العالمان (الدنيا و الآخرة) كانت عادة الألفة و لعشق جارية بيننا
فالدهر لم يوجد هذه العادة في الزمن الحاضر
إلى غير ذلك من الإشارات أو التصريحات التي تكشف
القناع عن نظرية الحافظ الشيرازي في هذا الموضوع، و التي
منها:

از دم صبح ازل تا آخرِ شام ابد
دوستی و مهر بر يك عهد و يك ميثاق بود
(ديوان، ٤/١٤٧)

و منذ تنفس صبح الأزل..و إلى أن ينتهي ليل الأبد
و الصداقة و الحب موقوفان بيننا على العهد و الميثاق
(الشواري، ص ٣٢٨)

سايه معشوق اگر افتاد بر عاشق چه شد
ما به او محتاج بوديم، او به ما مشتاق بود
(ديوان، ٥/١٤٧)

و ماذا يحدث إذا وقع ظل المعشوق على العاشق
و قد كنا في احتياج إليه، و كان إلينا في اشتياق
(الشواري، ص ٣٢٨)

پیش از اين كاين سقف سبز و طاق مينا بر كنند
منظر چشم مرا، ابروی جانان طاق بود
(ديوان، ٦/١٤٧)

و قبلما يرفع فوقنا هذا السقف الأخضر و هذه السماء الزرقاء
كان حاجب عين الحبيب في نظري هو وحده الخراب و الطاق
(الشواري، ص ٣٢٨)

جلوه‌ای کرد رُخ‌ش، روز ازل زیر نقاب
عکسی از پرتو آن، بر رُخ افهام افتاد
(ديوان، ٧/٢٢٤)

وعند ما تجلى حسن طلعتك في المرأة
بطلت جميع الصور و النقوش و وقعت في مرآة الأوهام
(الشواري، ص ٢٥٩)

و أنا طائر روضة القدس، فكيف أشرح حال الفراق
و كيف وقعت في شباك الحادثات في هذا الوثاق
من مَلَك بودم و فردوس برین جاتم بود

آدم آورد در این دیر خراب آبادم

(م.ن، ۳/۴۲۹)

و كنت «ملاكاً» و كان الفردوس الأعلى مقامي
فأحضرنى «آدم» إلى هذا «الدير» الحرب المهلّم الدامي
سايه طوبى و دلجوئى حور و لب حوض

به هواى سر كوى تو برفت از يادم

(م.ن، ۴/۴۲۹)

فودعت ظل شجرة «طوبى» و الحور الأسرات للقلوب و حلقة «الكوتر» الرطب
و ذهبت ذكرها جميعا عن فكري كيما أصل إلى مكانك
الحبيب نیست بر لوح دلم جز الف قامت يار

چه كنم؟ حرف دگر ياد نداد استادم

(۵/۴۲۹)

و لم يبق على صفحات قلبي غير قامة الحبيب التي «كالألف» يزينها الاعتدال
و ما عساي أفعّل و «أستاذي» لم يعلمني غير هذا الحرف لشليد الجمال
(الشواربي، ص ۴۴۵-۴۴۶)

۹. وفي غزل آخر يعبر عن العشق بالكثرة الذي يعثر عليه
الإنسان في عالم الدنيا الخربة:

سلطان ازل، گنج غم عشق به ما داد

تا روى در این منزل ویرانه نهادم

(ديوان، ۲/۴۴۰)

وقد أعطانا «سلطان الأزل» كثر الحزن في العشق فأتجهنا

منذ ذلك الوقت إلى هذا المنزل الحرب

(الشواربي، ۱۴۲۵: ص ۴۶۹)

۱۰. لذلك يحكم الحافظ الشيرازي بأن من لا عشق له، لا
حياة له، و أن من تحقق بالعشق تحقق بالحياة الأبدية:

هرگز نمیرد آن که دلش زنده شد به عشق

ثبت است بر جريده عالم، دوام ما

(ديوان، ۴/۴)

و لن يموت أبداً من يعيش قلبه على العشق الدائم

و لذلك فدوماً منا مثبت في صحف العالم

(الشواربي، ص ۹۴)

۱۱. يرى الحافظ الشيرازي أن آدم إنما ترك الجنة و هبط
إلى الأرض ليشرب من خمر الحب الإلهي:

در عیش نقد کوش، که چون آنخور نماند

آدم بهشت روضه دارالسلام را

(ديوان ۶/۹)

و اجتهد في العيش نقداً؛ لأنه عندما نضب الماء

ترك آدم روضة دار السلام

(الشواربي، ۱۴۲۵: ص ۹۵-۹۶)

۱۲. يشير الشيرازي إلى مشاهدته قصة خلق الإنسان و
تخمير طينته بخمر العشق و مشاهدته ساكني الملا الأعلى و
الشرب معهم من ذاك الخمر الرباني:

دوش دیدم که ملائک در میخانه زدند

گلِ آدم بسرشتند و به پیمانه زدند

(ديوان، ۱/۱۷۴)

ليله أمس رأيت الملائكة تدق على باب الحانة

حين أبدعوا طينة آدم و صاغوها في القوالب و الأقداح

ساكنان حرم سر عفاف ملكوت

با من راه نشين باده مستانه زدند

(م.ن، ۲/۱۷۴)

ثم أخذ الساكنون في حرم السر و ملكوت العفاف

يشربون معي، أنا المتخلف بالطريق، خمر الخلاعة و العريدة

(الشواربي، ۱۴۲۵: ص ۲۲۳-۲۲۴)

١٣. يعتقد الحافظ الشيرازي أنّ حب و عشق الحق سبحانه و مظاهره هو الغرض الأقصى من الخلقة، و يحث السالكين إلى الله باتخاذ العشق ذخرا من الدنيا فحسب، حيث يقول:

عاشق شو ار نه روزی، کار جهان سرآید

ناخوانده نقش مقصود، از کارگاه هستی

(ديوان، ٥/٥٣٨)

و صر عاشقا... و ارض بالعشق... فإنك إن لم تفعل ذلك فسيتهي أمر العالم يوماً دون أن تقرأ النقش المقصود في خيمة الوجود (الشواري، ص ٥٤١)

١٤. يعد الشيرازي كل من ليس له نصيب من العشق الإلهي ميتاً، و يفتي بأن يُصلي عليه صلاة الميت، حيث يقول:

هر آن کسی که در این حلقه نیست زنده به عشق

بر او چو مرده به فتوی من نماز کنید

(ديوان، ٤/٢٥١)

و كل من دخل هذه «الحلقة» و لم يحي قلبه بالعشق

فاذهب و صلّ عليه بفتوى مني و إن لم يمّت!

(الشواري، ص ٢٩٦)

١٥. بحث في أكثر من موضع على اكتساب تجربة الحب و العشق، نشير إلى بعضها:

کتر از ذره نه ای، پست مشو، مهر بورز

تا به خلوتگه خورشید رسی چرخ زنان

(ديوان، ٥/٤٧٥)

و أنت لا تقلّ عن «الذرة» فلا تهبط إلى أسفل.. و جرّب الحب و العشق

حتى تستطيع أن تصل إلى مستقر الشمس و أنت تلور على نفسك في رفق

(الشواري، ص ٤٨٩)

١٦. يحرض السالكين إلى الله إلى رفض كل ما يضر بالعشق، و يذم كل ما يوجب تعلق الإنسان بالاعتبارات في أكثر من موضع من غزلياته قائلاً:

غلام همّت آمم که زیر چرخ کبود

ز هر چه رنگ تعلق پذیرد آزاد است

(ديوان، ٢/٢٣)

و تأعبد لئلك لشخص «الرفع المهمة»، لذي استطاع تحت هذه لفة لورقاء

أن يحرر نفسه من كل ما تتعلق به الصفات و الألوان

چه گویمت؟ که به میخانه دوش، مست و خراب

سروش عالم غییم، چه مژده ها داده است

(ديوان، ٥/٢٣)

وما عسلي قول لك عما سمعت أمس في الحلقة، و أنا حلتي متلهورة من لشراب

و أي البشارات أوصلها إلى «ملاك التزلي» من «عالم الغيب»

که ای بلند نظر! شاهباز سیدره نشین

نشیمن تو، نه این کُنچ محنت آباد است

(ديوان، ٦/٢٣)

فيا رفيع النظر! أبها البازي الذي مأواه في سدره المنتهى

لا يليق هذا الركن الأعزل الحرب بمقامك

تو را ز کنگره عرش می زنند صغیر

ندانمت که در این دامگه، چه افتاده است؟

(ديوان، ٧/٢٣)

إنهم ينادونك من «شرفات العرش»

و إني لأعجب، و لا أعرف ماذا دهاك فقيت في هذه «المصيدة»؟

(الشواري، ص ١٨٥)

رندی آموز و کرم کن، که نه چندین هنر است

حيوانی که نوشد می و انسان نشود (ديوان، ٢/٢٤٠)

فتعلم العريضة و اصطنع الكرم... فليس من الخير

أن يمتنع الحيوان عن شرب الخمر فلا يصبح إنساناً مطلقاً

(الشواري، ص ٣١٥)

۲) فطرة و خلقه الناس على حد تعبير آية الفطرة-
الشامل لكل إنسان- على الدين ومعرفة الله و توحيده.
۳) إلهاد الله تعالى كل انسان على التوحيد في نشأة
إنسانية سابقة غير محجوبين عن ربهم يشاهدون فيها
وحدانيته تعالى في الربوبية بمشاهدة أنفسهم لا عن طريق .
۴) نفخ الروح الإلهية الكريمة فيه يعلو على مرتبته على
كل روح.

۵) خلق الإنسان في أحسن تقويم و صلاحه بحسب الخلقة
للعروج إلى الرفيق الأعلى و الفوز بحياة سعيدة خالدة عند
ربه لا شقاء معها.

۶) تكرم الله سبحانه الإنسان بما هو إنسان بحيث يعم
المشركين و الكفار و الفساق و برهم و فاجرهم تكريماً
خاصاً من بين الخلائق.

۷) عرض أمانة الخلافة المطلقة عليه من بين الخلائق بحيث
يمكنه أن يكون بصفاته وأفعاله مظهراً لصفات الله وأسمائه
وأفعاله.

۸) تسخير الموجودات كلها للإنسان بحيث تنفعهم في
مقاصدهم و هي العبور بأنفسهم و أحماهم و غير ذلك من
غير أن ترسب في الماء أو تمتنع عن الحركة أو تسخيرها لهم
هو قدرتهم على صنعتها و استعمالها بلهاهم طريق ذلك.
و هذا كله من كرامة الإنسان الذاتية، و أما الكرامة
الاكتسابية التي يبحث القرآن كل إنسان بالالتزام بها، هي :
۹) جعل العبودية و المعرفة الغرض الأقصى من الخلقة، و
هي أن ينقطع العبد عن نفسه و عن كل شيء و يذكر
ربه.

۱۰) تعيين التقوى السبب لكرامة الإنسان بنطاقه الواسع
من الإتياء عما يوجب كدورة اللطافة الإنسانية، ويكون
حجاباً بينه وبين مبدء الكمال والجمال والجلال، و
التحريض على رعاية كرامة الإنسان فيما أعلنه من أحكام

رند عالم سوز را با مصلحتی بین چه کار
کار ملک است آنکه تدبیر و تأمل بایدش
(دیوان، ۴/۳۳۰)
وما شأن العرید الذي لا یكثر بشيء في السعي وراء المصلحة و النفع
و الملک أمر یلزم له کثیر من التدبر و التأمل
تکیه بر تقوی و دانش در طریقت کافرست
راهرو گر صد هنر دارد توکل بایدش
(دیوان، ۵/۳۳۰)

و من الکفر في «طریقتنا» الاستناد إلى العلم و التقوی
لأن السالك یلزمه التوکل و لو امتاز بکثیر من الفضائل
(الشورابي، ص ۳۶۹)
۱۷. و یوصي السالك إلى تحمل أذى الناس و عدم التأذي
منهم و قبول الابتلاءات الإلهية في طریق العشق، قائلاً:
در طریق عشقبازی امن و آسایش خطاست
ریش باد آن دل که با درد تو جوید مرهمی
(دیوان، ۶/۵۷۷)

و من البلیة في العشق أن یهدأ العاشق أو یرتاح
فیا رب إحرق قلب من یطلب المرهم و أنخنه بالجراح
(الشورابي، ص ۵۱۹)

۵. نتائج البحث

محاور الكرامة الإنسانية التي يطرحها القرآن تتخلص في
تسعة محاور، هي:

۱) خلافة الإنسان - ليس شخص آدم (ع) خاصة - عن
الله سبحانه من بين الخلائق و تفضيله على الموجودات حتى
الملائكة الذين يظنون أنهم أنزه خلق الله، و دليل جعل هذه
الخلافة في الإنسان علمه بالأسماء كلها بالقوة يمكنه أن
يخرجه من القوة إلى الفعل.

شرعية و ضوابط كثيرة متفرعة عليه الالتزام بها. فإذا
الكرامة التي طرحها القرآن للإنسان كرامتان: إحداهما
كرامة ذاتية و فطرية تكمن في كل إنسان و التشريعات
تتبع ذلك في أبواب الفقه. و أخرى كرامة اكتسابية يلزم
على كل إنسان الاتصاف بها، و يحتاج الإنسان في إظهارها
إلى رياضات تجمعها تقوى الله - جل و عز - وكلها من
مصاديق المعرفة و العبادة لله سبحانه.

أما الحافظ الشيرازي فقد طرح موضوع حمل الإنسان
للإمانة الإلهية (المحور ٧) و ربطه بجعل الخلافة الشاملة في
الإنسان (المحور ١) و فسر الأمانة في قوله تعالى: «وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (الأحزاب، الآية ٧٢) في
تتمة الآية الكريمة بالعشق الإلهي من بين سائر الموجودات،
و بين أن الإنسان سالك سبيل العشق و أن الغرض من
مجيئه إلى الدنيا و ظهوره من عدم إلى الوجود أن يظهر
العشق في وجوده و يتبدل و يتكامل من القوة إلى الفعلية،
و أن الموجودات كلها إلا الإنسان حتى الملائكة المقربين قد
حرّموا من حمل هذه الأمانة، لأن الله سبحانه حرم عليهم
العشق و لم يجعل في وجودهم ذلك العشق. و أشار الحافظ
الشيرازي إلى آية الفطرة (المحور ٢) و فسرّها بفطرة الإنسان
منذ الأزل على العشق و بذلك ربط هذا المحور بالمحور (٣)
و ذكر موارد عديدة من غزلياته إلى أزلية العشق الإنساني
و استدلل على أبدية قصة العشق الإنساني بأزليته. و فسر
الشيرازي آية العبودية (المحور ٨) أيضا بأن الغرض من خلقه
الملك و الإنسان هو العشق فقط و بين أن الغرض من
الهبوط أن يعمر الإنسان بعد الخراب بالعشق، و عبّر عن
العشق بالكثرة الذي يعثر عليه الإنسان في عالم الدنيا الخربة،
و أن آدم إنما ترك الجنة و هبط إلى الأرض ليشرب من
خمر الحب الإلهي. و أما المحاور (٤) و (٥) و (٦) و أيضا
المحور (٨) و ان لم يطرحها الحافظ بصراحة فيمكن أن

يستفاد الالتزام من ما ذكرناه من غزلياته؛ لأن الحافظ
الشيرازي حث في أكثر من موضع على اكتساب تجربة
الحب و العشق و حرض السالكين إلى الله إلى رفض كل ما
يضر بالعشق و يذم كل ما يوجب تعلق الإنسان
بالاعتبارات في أكثر من موضع من غزلياته، و أوصى
السالك إلى تحمل أذى الناس و عدم التأذي منهم و قبول
الابتلاءات الإلهية في طريق العشق. و يرجع هذا كله إلى
المحورين (٨) و (٩) بالالتزام. أما المحور (٩) و هو التأكيد
على التقوى خاصة، فلم يطرحها بهذا اللفظ بل حرض و
حث على مصاديق التقوى كما ذكرنا بعضها؛ و دليل ذلك
أن الالتزام بالتقوى الصوري هو سيرة الزاهدين المتقشفين
السطحيين الظاهريين و الحافظ الشيرازي عارف يدعو إلى
الحب و العشق الباطني الذي هو لب الدين و لذلك كان
التقوى الذي يلتزم به الزهاد و العباد الظاهريون عنده
مذموما.

بناء على ذلك، يمكننا أن نقسم الكرامة التي طرحها
الحافظ في ديوانه إلى قسمين: الأول؛ الكرامة التي أعطاه
الله لكل إنسان بالقوة و طلب منه إظهارها و إخراجها
بالفعل. و هي الكرامة التي ذكرت في العرفان النظري و
العملي. و الثانية؛ الكرامة الأخلاقية و لكن الشيرازي طرح
الكرامة الأخلاقية بصيغة عرفانية.

نذكر فيما يلي هاتين الكرامتين العرفانية و الأخلاقية
من وجهة نظر الحافظ. و بعبارة أخرى، الكرامة العرفانية
للإنسان وإن كانت هي العمدة من منظور الحافظ
الشيرازي إلا أن الكرامة لا تنحصر بالكرامة العرفانية
خاصة في ديوان الحافظ و أشعاره، بل ذكر الحافظ
الشيرازي الكرامة الأخلاقية و طرحها في ثوب عرفاني و
دعا كل إنسان بالالتزام بها و هذه الكرامة التي طرحها
الحافظ الشيرازي انتشرت بانتشار أشعار الحافظ في زمنه في

البلاد الإسلامية وغيرها و أثرت أشعاره في النفوس أشد تأثير. إذن فالكرامة الاكتسابية التي تحصل بالتقوى على الرغم من أنها يمكن أن تفسر بالتقوى عن النار وغيرها من الوجوه البسيطة التي طرحت في الأديان الإبراهيمية كلها و المعنى المختص بالقرآن و التقوى من الله سبحانه و تعالى خاصة. على كل حال فالمليدان واسع للمفسرين إلا أن كل مفسر ينظر بقدر معرفته و حظه من المعارف الإلهية إلى القرآن و يرى نفسه فيه. و النظرية الأخلاقية الإسلامية عند كثير من العلماء الإسلاميين تبتني على النظرية التي اشتهر بنظرية الفضيلة، و لكن العرفاء المحققين ردوا هذه النظرية و ادّعوا أن النظرية الاخلاقية الإسلامية تبتني من جهة الغايات على فكرة التوحيد و من حيث علاج الأمراض الأخلاقية على العشق و الحب الالهي، و الحافظ الشيرازي من الذين عرضوا هذه الفكرة في قالب الشعر العرفاني و أضفى على الأخلاق صيغة عرفانية.

إذن الحافظ الشيرازي شاعر الغزل الفارسي يعتقد أن الخلافة الإلهية المطلقة، أعظم موهبة أعطاها الله سبحانه للموجودات، و الإنسان من بينها خاصة تشرف بقبول هذه الأمانة الإلهية بصورة الإطلاق. وهذه هي الكرامة التي أعطاها الله سبحانه لكل إنسان بالقوة و علاوة على ذلك جعل الله سبحانه في كل إنسان شيئا آخر بالقوة ليظهر به الخلافة المطلقة و يجعلها بالفعل و هو العشق و الحب الإلهي، فالإنسان إنما يقدر على استخراج كثر الخلافة من نفسه بالعشق. و هذه الكرامة كالكرامة الأولى أعطاها الله سبحانه للإنسان خاصة. و الجن يشاركه في ذلك بعض المشاركة. فالنتيجة النهائية كما أن كرامة الإنسان الذاتية عند الحافظ الشيرازي بالخلافة المطلقة و العشق، وكذلك كرامة الإنسان الفعلية و الاكتسابية بالعشق و إظهار تلك الخلافة.

الهوامش

١. نسخته الديوان الذي اخترناه للتحقيق هو ديوان الحافظ مع تحقيق القدسي. وذلك لما تحويه هذه النسخة من المختصات الفنية و المعنوية. و نلفت نظر القراء الكرام إلى أن العدد الأول الواقع قبل (/) عدد الغزل و العدد الثاني الواقع بعد (/) عدد البيت من ذلك الغزل.

المصادر والمراجع

الف) الكتب

- [١] القرآن الكريم.
- [٢] ابن العربي، محي الدين، (لاتا) الفتوحات المكية (٤ مجلدات)، دار صادر، بيروت.
- [٣] ابن سينا، شيخ الرئيس، (١٣٢٦ق) تسع رسائل في الحكمة و الطبيعيات، القاهرة، الطبعة الثانية.
- [٤] ابن فارس، أحمد بن فارس، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
- [٥] ابن هشام، حميرى معافى، (لاتا) السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت.
- [٦] الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (لاتا) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- [٧] الآملی، سيدحيدر، جامع الأسرار و منبع الأنوار، انتشارات علمی و فرهنگي وزارت فرهنگ و آموزش عالی.
- [٨] الآملی، عبدالله جوادى، (١٤٠٤، هـ ق)، خمس رسائل، دفتر انتشارات اسلامي جامعه مدرسين حوزه علميه قم، قم، الطبعة الاولى.

- [٩] التركي، عبد الله بن عبد المحسن، (١٤١٩هـ) حقوق الإنسان في الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: <http://www.al-islam.com>
- [١٠] التهانوي، محمد علي، (١٩٩٦م)، كشف اصطلاحات الفنون و العلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى.
- [١١] حافظ، شمس الدين محمد، ديوان حافظ، بتصحيح القدسي، انتشارات إشراف.
- [١٢] الحرّ العاملي، محمد بن حسن، (١٤٠٩، ق) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم، مؤسسه آل البيت، الأوليف.
- [١٣] الخراساني، وحيد، (١٤٢٨هـ، ق) منهاج الصالحين، مدرسه امام باقر (ع)، الطبعة الخامسة، قم.
- [١٤] خرماشي، بهاء الدين، (١٣٨٥، ش) حافظ نامه، شركت علمي و فرهنگي، الطبعة ١١، طهران.
- [١٥] الراغب الاصفهاني، (١٤١٢، ق) حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، بيروت، دار العلم-الدار الشامية، الطبعة الاولى.
- [١٦] الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي و أدلته، دار الفكر، دمشق، الرَّابِعة.
- [١٧] الشهرزوري، شمس الدين، رسائل الشجرة الإلهية في علوم الحقايق الربانية، مؤسسة حكمت و فلسفه ايران.
- [١٨] صالح، صبحي (لاتا)، نَجح البلاغه، الإمام على (ع) انتشارات دارالهجرة، قم.
- [١٩] الشواربي، ابراهيم أمين، (١٤٢٥) أغاني شيراز، المشرق للثقافة و النشر، الطبعة الأولى، طهران.
- [٢٠] الصدوق، ابن بابويه، محمد بن علي، (١٣٩٨ق) التوحيد، جامعة المدرسين، قم، الطبعة الأولى.
- [٢١] الطباطبائي، سيد محمد حسين، (١٣٩٣ق) الميزان في تفسير القرآن بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- [٢٢] الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط (تفسير طنطاوي)، موقع التفاسير: <http://www.altafsir.com>.
- [٢٣] المشكيني، ميرزا علي، (١٤١٨ هـ ق)، الفقه المأثور، نشر الهادي، قم، الطبعة الثانية.
- [٢٤] المصطفوي، حسن، (١٣٦٠، ش) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران، بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
- ب) المجالات**
- [٢٥] دكتور فارميك آرساتوريان و محمد آل عصفور، مجلة علوم اجتماعي و انساني دانشگاه شيراز، العدد ٢٦، السنة الثانية، سنة ١٣٨٧ (العدد المتوالي ٥١).
- [٢٦] الدكتور حسن بن محمد سفر، الإنسان وحرياته في النظام الإسلامي وتأصيله، مجلة مجمع الفقه الاسلامي، العدد ١٣، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.
- [٢٧] المختار السلامي، الشيخ محمد، الاستنساخ البشري، مجلة مجمع الفقه الاسلامي، العدد ١٠، التابع تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.
- [٢٨] الهاشمي، سيد محمد، كلمة التحرير، رؤي و أفكار معاصرة؛ فلسفة الفقه، مجلة فقه أهل البيت عليهم السلام (بالعربية)، مؤسسه دائرة المعارف فقه اسلامي بر مذهب اهل بيت عليهم السلام، قم، الطبعة الأولى.

کرامت انسانی از دیدگاه حافظ شیرازی و انتشار آن در جوامع به واسطه شعر حافظ

کاوس (محمد) روحی برندق^۱

تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۹/۲۹

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۱/۱۲/۲۸

این مقاله با تتبع و جست و جوی کامل در دیوان حافظ شیرازی، معانی کرامت انسانی را مورد بحث قرار داده است. برای این منظور نخست معانی متعدد کرامت در علوم و فنون گوناگون ذکر شده است. این معانی عبارت‌اند از معنای کرامت در لغت که به معنای شرافت و برتری ذاتی شیء یا شرافت در یکی از صفات اخلاقی انسانی است و معنای کرامت در اخلاق، که به معنای تهذیب اخلاق و دوری از دوستی امور پست دنیوی است و معنای کرامت در فقه و حقوق که عبارت از التزام عملی به ارزش‌های انسانی می باشد و کرامت در حکمت نظری که به معنای عالم عقلی مشابه عالم عینی گردیدن انسان است، و بالاخره کرامت در عرفان - اعم از نظری و عملی - و تصوف اسلامی و در راس این اصطلاحات، معنای کرامت در قرآن و حدیث ذکر شده است. بنابراین کرامت دارای معانی گوناگون است که در علوم و موارد استعمال مختلف کاربرد دارد، و اما کرامت از دیدگاه حافظ شیرازی اگر چه غرض عمده حافظ کرامت عرفانی است، لیکن کرامت در اشعار و غزلیات حافظ منحصر به این معنا نیست، بلکه حافظ کرامت اخلاقی را در اشعار خود ذکر و در لباس عرفان طرح کرده است و انسان‌ها را به التزام به آن دعوت کرده است. و این کرامت که در اشعار حافظ طرح شده به واسطه‌ی انتشار اشعار حافظ در زمان او در بلاد اسلامی و غیر آن انتشار یافته و اشعار او دست به دست چرخیده و تاثیر مضاعف در دل‌ها گذاشته است. و این همه از اشعار حافظ قابل استفاده است.

کلید واژگان: کرامت، انسان، حافظ شیرازی، قرآن.

Human Dignity in Eyes of Hafez Shirazi and its Propagation through Poems

Dr. kavos roohibarandagh¹

Received: 2012/12/19

Accepted: 2013/3/18

Abstract

With a complete review of Divan-e-Hafez, this article tries to discuss the meaning of human dignity. For that reason, first, different meanings of dignity in different field of sciences have been discussed. These meanings include the lexical one i.e. personal excellence or honor is one of the human moralities. The meaning of dignity in morality that is discipline and distance from friendship in the religious affairs, and dignity in jurisprudence and law that necessitates practical human values; dignity in theoretical wisdom means intellectual world similar to identical one of man and at last dignity in mysticism, topsides of meaning of dignity have been discussed in the holy Qur'an and Hadiths. Thus, dignity has plenty of meanings and different applications in science. However, dignity from the point of views of the great Iranian poet Hafez Shirazi, although principally is mystical but in his poetry, it doesn't mean the same as he incorporates moral dignity in his poems and outlines it in the garb of mysticism and invites people towards it. Through the publication of his poems, Shirazi's viewpoints on human dignity spread through Islamic and non-Islamic cities and since his poems rotate hand by hand they leave major imprint on human hearts.

Keywords: Dignity; Human; Hafez Shirazi; Quran.

1 . Associate Professor- Tarbiyat Modares University

14rohi@gmail.com